1

البحث عن عبقري العمل في داخلنا

«الابتكار مهنتي»

وليام بليك

كيف تمكن ألبرت أينشتاين Albert Einstein من الوصول إلى فكرة النظرية النسبية؟ ومن أين أتى الإلهام في لوحات جورجيا أوكيفس Georgia O'Keeffe's؟ وكيف تمكن أندي كروف Andy Grove من اختراع عقل الكمبيوتر الضخم؟ هل فكرت يوماً من أين أتى عظماء التاريخ بأفكارهم؟

يعتقد معظمنا أن العباقرة فئة معينة من الناس. وما يغيب عن أذهاننا أن هؤلاء المبدعين يستخدمون مهارات بإمكاننا جميعاً تعلمها. ليست العبقرية بالأشخاص؛ بل هي بالأفكار، وكل منا لديه القدرة على تحقيق النجاحات الخارقة.

عندما ننظر إلى المهارات الفكرية لبعض الأشخاص الموهوبين عبر التاريخ - مثل ولفغانغ أمادوس موزارت

Walfgang Amadeus Mozart، وفرانك لويد رايت Frank Lloyd Wright، وليوناردو دي ڤنشي Leonardo da Vinci، وكثيرين غيرهم، ونفهم طريقتهم في صنع الأفكار، وكيف تمكنوا من تطوير نجاحاتهم الخارقة، يمكننا بعدها أن نسخر تصوراتنا الذهنية في مجال العمل. سنكتشف أساليبنا الابتكارية، وطريقة عمل تصوراتنا الذهنية، وكيف نصبح رواداً للأفكار. وسنتعلم أيضاً كيف نكون أعضاء ذوي فعالية هامة في فريق العمل، ونتيقّن أن أفكارنا سترى النور يوماً ما، ونكتشف العبقرية التي بداخلنا.

تحتاج شركتك لعبقريتك. نحن نعيش في حقبة من التقدم الاقتصادي، وغالباً ما يتصدر الفنانون والعلماء والشعراء والمفكرون التغييرات في هذه الحقبة. يسخرون إمكانياتهم، يبدعون من لاشيء؛ ويضعون الأسس للجيل القادم. ولكي نقود التغييرات في مجال الاقتصاد في يومنا هذا، يجب علينا أن نفكر كفنانين ونسخر تصوراتنا الذهنية. وأفكارنا هي العملة الحقيقية.

هكذا تعلمت أهمية الأفكار. كنت مديرة ناجحة لوكالة إعلان ذائعة الشهرة في منتصف التسعينيات. ومع ذلك كنت أتطلع إلى طريقة تسارع من أدائي وتمضي بالشركة قدماً. كان أحد زملائي المقربين بصدد الدخول في عمل جديد وطلبت منه رؤيته الخالصة. أذهلني ما سمعته.

«هلاّ أخبرتني يا جاك Jack كيف أستطيع أن أطور عملي مع فريق العمل؟».

حسناً، يا آنيت. أنت ذكية جداً، ومديرة قديرة تقومين بأداء عملك، ولكنك تسلطين اهتمامك على «الاستراتيجية» و«البراعة في التخطيط». تقضين وقتاً طويلاً في التفكير في المشكلة. بينما يريد فريق العمل منك أن تعطيه حلولاً ابتكارية. ماهي أفكارك؟ عليك أن تزيدي من براعتك في انتقاء الأفكار.

كيف أزيد من براعتي في انتقاء الأفكار؟ لم أستطع تصديق ما قاله! اعتقدت أن تصوراتي الذهنية جيدة، لقد استخدمتها لسنوات. ولكن كلماته بدأت تلاحقني: ليست «الاستراتيجية»، بل «الأفكار». كان علي الاعتراف أنه على حق. لقد حاولت مراراً أن أفهم، وقمت حتى بالمناقشة، عمّا يحتاجه العمل عوضاً عن ابتكار الأفكار للوصول إلى ما أريد. كيف يمكنني أن أزيد من نوعية وكمية الأفكار في العمل؟ لكي أكون أكثر نجاحاً في العمل، يجب أن أتعلم براعة ابتكار الأفكار.

قررت تعلم الابتكار من أفضل مصادره. لأنني إذا تمكنت من فهم البنية العقلية ـ ومهارات التفكير ـ لأفضل المبتكرين عبر التاريخ، ربما، أصبح أكثر إبداعاً في العمل. بإمكاني الجلوس تحت أقدام العباقرة وتعلم كيف أحسّن من تصورات عملي الذهنية. بدأت بتفكر وتأمل ابتكارات أشهر الفنانين والعلماء والمخترعين المرموقين، والعباقرة من رجال الأعمال عبر

التاريخ. عند كل واحد كنت أطرح سؤالاً: «كيف استطاع هذا العقل المدبر أن يحقق مثل هذا الإنجاز؟ وماهي المفاهيم العقلية في العمل التي قادته لهذا التقدم البارع؟»

ألهمني ما اكتشفته وغيّر من حالي. لقد اكتشفت أن العقل المبدع هو نفسه بغض النظر عن مكان وجوده - في الفن، أو في الرقص أو في العلوم - حتى في مجال الاقتصاد. لقد كانت مهارات روبرت فروست Robert Frost في كتابة الشعر أو بوب ديلان Bob Dylan في كتابة أغنية بسيطة مثل مهارات هاورد شولتز Howard Schultz في ابتكار فكرة إمبراطورية الستاربوكس Starbucks أو روي كروك Roy Kroc في تجديد الوجبة الأمريكية عندما أنشأ وكالة الماكدونالدز McDonald's. نفس الأدوات التي استخدمها الفنانون والعلماء في تحقيق نجاحاتهم الخارقة، هي التي استخدمها رجال الأعمال في نجاحاتهم في مجال الصناعة. لقد وجدت نقطة الالتقاء بين الفن والاقتصاد.

وضعت على مكتبي أمثلة للإنجازات الضخمة. وأثناء دراستي لها، تولّدت في ذهني خمسة مفاهيم عامة للإبداع. حتى أني أطلقت عليهم أسماء حتى لا أنساهم: المبصر، والمتمعن، والمقتبس، الأحمق، وأخيراً الحكيم. وأسميت هذا النظام الوجوه الخمسة للعبقرية: البنية العقلية والمهارات الفكرية تكمن خلف بعض أعظم الإنجازات عبر التاريخ.

قمت بتطبيق الوجوه الخمسة للعبقرية في عملي

بالوكالة، وأصبح إطار هذا النظام هو صندوق الأدوات للتفكير الإبداعي. في كل وقت كنت أبدأ فيه بمشروع عمل أو أحاول حل مسألة ما، كنت أراجع هذه المفاهيم في ذهني. كنت أشعر بالنتيجة، فوراً. بدأت بالتحكم بالأفكار مثل أفكار المبيعات وأفكار التسويق بدأت بإهمال الإجابات الذكية والبحث عن الإجابات الابتكارية. بدأت أسمع التعليقات، «إنك لا تأتين إلا ومعك فكرة». لم اعتمد فقط على ذهني بل على حدسي وعبقريتي في حل المشاكل. لم أعد أعيش كمديرة أعمال وبدأت العيش كفنانة باكتشاف الجزء المبدع والعبقري بداخلي.

وعندما شاركت أصدقائي والعاملين معي وزملائي في إطار العمل، لاحظ الجميع بسرعة كيف يمكن للوجوه الخمسة للعبقرية أن تساعدهم. سمعت قولاً: «أحتاج إلى طريقة لأكون أكثر إبداعاً في عملي. هل بإمكانك مساعدتي؟» وسمعت أيضاً: «إن عملائي لا يدفعون لي فقط لقاء الخدمة ولكنهم يتوقعون الآراء الجديدة، أيضاً». بعضهم أخبرني أن «تطور الآراء والأفكار» هو جزء من تقييمهم لأداء العمل: «أحتاج لمعرفة كيف أكون أكثر تطوراً في عملي». لم أكن وحيدة في هذا الصراع. لقد شاركني فيه العديد من مديري هذا الجيل. لقد غير الاقتصاد الإعلامي المفهوم الاقتصادي، ولاحظ كثير منا أهمية كوننا رواداً للأفكار في العمل.

اليوم، أصبحت منشئة ورئيسة لشركة تدعى فاير مارك Fire

Mark، تقوم بتعليم رجال الأعمال التفكير بطريقة خلاقة مستخدمين الوجوه الخمسة للعبقرية. كان من ضمن عملائنا الشركات المعروفة والمتنوعة مثل كوكاكولا Coca-Cola، وأندرسون للاستشارات Anderson Consulting، وكرافت للأغذية Kraft Foods، وستاربوكس .Starbucks. تقوم شركتي بمساعدة الآخرين في استخدام المهارات لاكتشاف الأفكار الجديدة، والمواقع غير المدونة في جدول العمل، وتعلمهم أيضاً كيف يستحضرون تصوراتهم الذهنية في العمل.

ستجد بين طيات هذا الكتاب مهارات يمكنها أن تحقق النجاح المذهل في الاقتصاد الفكري وستتعلم كيف تبحر في تصوراتك الذهنية من أجل طاقة أكبر في عملك. لقد أجاد أحد المشاركين في الندوة التعبير: «اكتشفت عندما تمكنت من التحكم بمهارات الوجوه الخمسة للعبقرية، أن بداخلي طاقات إبداعية لم أكن أعرفها مسبقاً. واليوم عندما أجتمع مع العاملين لدي، من اجل إيجاد طرق جديدة لتنمية العمل، أقوم بطرح أسئلة قد تسألها الوجوه الخمسة ويساعدنا ذلك في التوسع في تصوراتنا. أستمتع بكوني سفير الفكرة. إن عملي يعني لي المتعة وتحقيق الهدف».

قد يقول البعض: «إن إدارة الشركة لا تحتاج إلى حلول من صنع الخيال. أريد فقط أن أتبع التعليمات». أو: «إن مواصفات عملي تتطلب إنجاز العمل». أو: «إن فريق العمل لدي لديه أفكار جيدة؛ ولكن يصعب تطبيقها عمليا». قد يكون

هذا صحيحاً. لا أحد ينكر أن الشركات والمؤسسات تحجز الابتكارات وتحبسها، ولكن هذا ما أريد معرفته: إن المصدر الأكثر قيمة والذي تسخره لمكان عملك هو إبداعك، أكثر من أدائك، وأكثر من الدور الذي تقوم به، وأكثر من مركزك وحتى أكثر من «محصلة عملك»، هو فكرك الذي يهم. وفي زمن النهضة الاقتصادية، وعند انهيار شركة رائدة في زمن قصير (دجاج بوسطن Boston Chicken) وولادة شركة أخرى (أمازون.كوم)، AMAZON.COM، تجد أنه، حتى مؤسستك، تحتاج إلى رجال أعمال لديهم ذوق فني.

لا يطلب منك من أجل أن تصبح رجل أعمال ذا ذوق فني أن تضع ألعاباً في مكتبك أو أن تصيب زملائك ببندقية اللعب. ولا يلزمك وجود كلمة «مبدع» في لقبك في العمل. كل ما عليك فعله أن تبحث عن العبقرية التي بداخلك. لديك روح مبدعة تستحق التعزيز، فكرّس نفسك لاكتشافها.

جهز نفسك لمعرفة أفضل المهارات التي قد تتعلمها. الوجوه الخمسة للعبقرية هي القواعد الخام للإبداع، وبمجرد أن تتعرف عليها يمكنك تطبيقها في تحديات عملك. إنها مبادئ تساعدك على التحكم بحياتك في العمل وفي حياتك الخاصة. نحن نعيش في عصر دائم التغير. فلا تكن شخصاً يستجيب للتغيرات. ولكن كن شخصاً يخلق هذه التغيرات.

لقد صرح الشاعر وليام بليك William Blake أن الإبداع

هو مهنته. ومهمتك أنت أيضاً الإبداع. إن ما تبدعه، وما تنجزه، وما تحققه في العمل، سيكون ميراثك الشخصي في هذه الحياة. والميراث ليس خاصاً بالفنانين والفلاسفة أو الفائزين بجائزة نوبل فقط. إن الميراث المبدع من حقك، أنت أيضاً.

أننا نقضي وقتاً طويلاً في العمل أكثر من أي نشاط آخر في حياتنا. العمل هو المكان الذي يتطلب الكثير منا في الوقت الذي نتوقع أنه يحتاج إلى القليل. ولكن عندما يسود الإبداع في عملك، ستجد حينها روحك الإبداعية، ويمكنك أن تحول اتجاه هذه الروح وتغير في حياة الأشخاص من حولك. العالم ينتظر اكتشافك للعبقرية التي في داخلك. فلنبدأ من هنا.